

التبيان في تفسير القرآن

(368) غير ما كان بقادر عليه فمن جعل مع الله آخر فقد صير ذلك الشيء على غير ما كان عليه باعتقاده انه الله آخر مع الله وذلك جعل منه عظيم وذهاب عن الصواب بعيد، فيقول الله للملكين الموكلين به يوم القيامة (ألقياه) أى الرحاه (في العذاب الشديد) واللقاء الرمي بالشيء إلى جهة السفلى، وقولهم: ألقى عليه مسألة بمعنى طرحها عليه مشبه بذلك. واصل إلقاء المماسه، والالتقاء من هذا ففي اللقاء طلب مماسه الشيء الأرض بالرمي (قال قرينه ربنا ما أطغيته) قال ابن عباس: قرينه - ههنا - شيطانه. وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك. وسمي قرينه لانه يقرن به في العذاب، وهو غير قرينه الذى معه يشهد عليه، والقرين نظير الشيء من جهة مصيره بازائه. حكى الله عن شيطانه الذى أغواه انه يقول " ما أطغيته " فالأطغاء الإخراج إلى الطغيان، وهو تجاوز الحد في الفساد أطغاء وطغى يطغى طغيانا، فهو طاغ. والاول مطغى. وقال الحسن: ما أطغيته باستكراه، وهو من دعاه إلى الطغيان. والمعنى لم أجعله طاغيا " ولكن كان " هو بسوء اختياره " في ضلال " عن الايمان " بعيد " عن إتباعه. ومثله قوله " وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لي " (1) فيقول الله تعالى لهم " لا تختصموا لدي " أى لا يخاصم بعضكم بعضا عندي (وقد قدمت اليكم بالوعيد) في دار التكيف، فلم تنزجروا وخالفتم امري (ما يبدل القول لدي) معناه إن الذى قدمته اليكم في الدنيا من أنى أعاقب من جحدني وكذب برسلي وخالفني في أمري لا يبدل بغيره، ولا يكون خلافه (وما أنا بظلام للعبيد) أى لست بظالم لاحد في عقابي لمن استحقه بل هو الظلام لنفسه بارتكاب المعاصي التى استحق بها ذلك. وإنما قال: بظلام للعبيد على وجه المبالغة ردا لقول من أضاف جميع الظلم إليه - تعالى الله عن ذلك - . _____ (1) سورة 14 ابراهيم آية 22 (*)